



أقنعه بخطئه ليقبل النصح

بعض الناس يشغل الآخرين بكثرة التوجيهات والملاحظات حتى يوصلهم إلى مرحلة الملل والاستئثار.. خاصة إذا كانت النصائح والتوجيهات مبنية على آراء وأمزجة شخصية..

كمن ينصحك بعد وليمة دعوت الناس إليها وتعبت في إعدادها وتعب معك أهلك ومالك! ثم يقول لك هذا الناصح: يا أخي الوليمة ما كانت مناسبة.. وتعبك ذهب هدرًا وكنت أضل أنها ستكون بمستوى أعلى من هذا.. فتقول: لماذا؟..

فيقول: يا أخي أكثر اللحم كان مشويًا.. وأنا أحب اللحم المسلوق!! والسلطات كانت حامضة بسبب الليمون.. وأنا لا أحب ذلك.. وكذلك الحلويات كانت مزيئة بالكريمة.. وهذا يجعل طعمها غير مقبول..

ثم يقول لك: وعموماً أكثر الناس أيضاً تضايقوا.. وما أكلوا إلا مجاملة.. أو لأنهم اضطروا إليه!!

قطعاً.. أنت هنا ستنظر إلى هذا الناصح نظرة ازدراء وإعراض.. ولن تقبل منه نصيحته، لأنها مبنية على آراء وأمزجة شخصية..!!

قل مثل ذلك فيمن ينصح آخر ويعنف عليه حول طريقة تعامله مع أولاده.. أو مع زوجته.. أو طريقة بنائه لبيته.. أو نوع سيارته.. بناءً على ذوقه الخاص.. انتبه دائماً أن تكون هذه النصائح والانتقادات مبنية على مجرد أمزجة شخصية.. نعم لو طلب رأيك.. أبده له واعرضه عليه.. أما أن تتكلم معه وتنصح كما تنصح المخطيء.. فلا.. وأحياناً.. المنصوح لا يشعر أنه مخطيء فلا بد أن تكون حجتك قوية عند نصحه..

جلس أعرابي صُلَف مع قوم صالحين.. فتكلموا حول بر الوالدين.. والأعرابي يسمع.. فالتفت إليه أحدهم..



◀ وقال: يا فلان.. كيف برك بأهلك..

◀ فقال الأعرابي: أنا بها بار..

◀ قال: ما بلغ من برك بها؟

◀ قال: والله ما قرعتها بسوط قط!!

يعني إن احتاج إلى ضربها.. ضربها بيده أو عمامته.. أما السوط فلا يضربها به.. من شدة البر!! فالمسكين ما كان ميزان الخطأ والصواب عنده مستقيماً.. فكن رفيقاً لطيفاً.. حتى يقتنع الذي أمامك بخطئه..

كان في عهده ﷺ امرأة من بني مخزوم تستلف المتاع من النساء.. وتتغافل عن رده فإذا سألوها عنه جحدته.. وأنكرت أنها أخذت شيئاً.. حتى زاد أذاها في الجحد والسرقة فرفع أمرها إلى رسول الله ﷺ ففضى فيها أن تقطع يدها..

فشق على قريش أن تقطع يدها وهي من قبيلة من كبار قبائل قريش.. فأرادوا أن يكلموا النبي ﷺ ليخفف هذا الحكم إلى حكم آخر.. كجلد أو غرامة مال.. أو نحو ذلك.. وكلما توجه رجل منهم لنقاش النبي ﷺ في هذا الأمر.. تردد ورجع.. فقالوا لن يجترأ على رسول الله ﷺ إلا (أسامة بن زيد).. حب رسول الله ﷺ وابن حبه.. تربى هو وأبوه في بيت النبي ﷺ حتى صار كولده.. فكلّموا (أسامة)..

أقبل (أسامة) إلى رسول الله ﷺ.. فرحب به وأجلسه عنده.. جعل (أسامة) يكلم النبي ﷺ ليخفف الحكم.. ويبين أن هذه المرأة من أشرف الناس.. و(أسامة) يواصل الكلام والنبي ﷺ يستمع.. كان (أسامة) يحاول إقناع النبي ﷺ برأيه..

نظر النبي ﷺ إلى (أسامة).. فإذا هو يحاول ويناقش.. بكل قناعة.. ولا يدري أنه يطلب منه ما لا يجوز..!! فتغير النبي وغيض ﷺ وكان أول كلمة قالها أن بيّن له خطأه..



◀ فقال ﷺ: أتشفع في حد من حدود الله يا (أسامة)؟

فكانه يبين سبب غضبه لأسامة.. وأن حدود الله تعالى التي أوجب على عباده إقامتها لا تجوز الشفاعة فيها.. فانتبه (أسامة)..

◀ وقال فوراً: استغفر لي يا رسول الله..

فلما كان الليل.. قام ﷺ فخطب في الناس وأثنى على الله بما هو أهله.. ثم قال:

أما بعد.. فإنما أهلك الذين من قبلكم: أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه.. وإذا سرق فيهم الضعيف.. أقاموا عليه الحد.. وإني والذي نفسي بيده.. لو أن (فاطمة) بنت (محمد) سرق لقطعت يدها..

ثم أمر بتلك المرأة التي سرق فقطعت يدها..

قالت (عائشة) - رضي الله عنها -: فحسنت توبتها بعد.. وتزوجت.. وكانت تأتيني بعد ذلك.. فأرفع حاجتها إلى رسول الله ﷺ^(١).

(أسامة بن زيد) رضي الله عنه له مواقف متعددة مع رسول الله ﷺ.. كلها تفيض بالرحمة والتعامل الراقي..

قال (أسامة): بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقات من جهينة.. فهزمناهم وخرجنا في آثارهم.. فلحقنا أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم.. فلأذ منا بشجرة.. فلما أدركناه.. ورفعنا عليه السيف.. قال: لا إله إلا الله.. فأما صاحبي الأنصاري فخفض سيفه.. وأما أنا فظننت أنه يقولها فرقاً من السلاح.. فحملت عليه فقتلته..

(١) متفق عليه.

◀ فقال لي: أقال لا إله إلا الله.. ثم قتلته؟

◀ قلت: إنه لم يقلها من قبل نفسه.. إنما قالها فرقاً من السلاح..

◀ فأعاد عليّ: أقال لا إله إلا الله.. ثم قتلته؟ فهلا شققت عن قلبه.. حتى تعلم أنه إنما قالها فرقاً من السلاح..

سكت (أسامت).. فهو لم يشق عن قلب الرجل فعلاً..!! لكنه كان في ساحة حرب.. والرجل مقاتل!!

فأعاد عليه ﷺ السؤال مستنكراً: أقال لا إله إلا الله.. ثم قتلته؟ يا (أسامت) قتلت رجلاً بعد أن قال لا إله إلا الله!! كيف تصنع بلا إله إلا الله يوم القيامة؟

فما زال يقول ذلك حتى وددت إنني لم أكن أسلمت إلا يومئذ..^(١)

فتأمل كيف تدرج معه ببيان الخطأ وإقناعه به.. ثم وعظه ونصحه..

ولأجل أن يقتنع المنصوح بما تقول.. ناقشه بأفكاره ومبادئه هو قدر المستطاع.. نعم فكر من وجهة نظره..

بينما رسول الله ﷺ في مجلسه المبارك.. يحيط به أصحابه الأطهار.. إذ دخل شاب إلى المسجد وجعل يتلفت يميناً وشمالاً كأنه يبحث عن أحد.. وقعت عيناه على رسول الله ﷺ فأقبل يمشي إليه..

كان المتوقع أن يجلس الشاب في الحلقة ويستمع إلى الذكر.. لكنه لم يفعل..! إنما نظر الشاب إلى رسول الله ﷺ وأصحابه حوله..

◀ ثم قال بكل جرأة: يا رسول الله.. ائذن لي بـ...

بطلب العلم؟ لا.. لم يقلها.. ويا ليتة قالها..

ائذن لي بالجهاد.. لا.. لا ويا ليتة قالها..

(١) متفق عليه

أتدري ماذا قال؟ قال: يا رسول الله.. ائذن لي بالزنا..

عجباً!! هكذا بكل صراحة؟! نعم.. هكذا: ائذن لي بالزنا..

نظر النبي ﷺ إلى الشاب.. كان يستطيع أن يعظه بآيات يقرأها عليه.. أو نصيحة مختصرة يحرك بها الإيمان في قلبه.. لكنه ﷺ سلك أسلوباً آخر..

◀ قال له ﷺ بكل هدوء: أترضاه لأهلك؟

فانتفض الشاب وقد مرّ في خاطره أن أمه تزني..

◀ فقال: لا.. لا أرضاه لأمي..

◀ فقال له ﷺ بكل هدوء: كذلك الناس لا يرضونه لأمهاتهم..

ثم فاجأه سائلاً: أترضاه لأختك؟

فانتفض الشاب أخرى.. وقد تخيل أخته العفيفة تزني..

◀ وقال مبادراً: لا.. لا أرضاه لأختي..

◀ فقال ﷺ: كذلك الناس لا يرضونه لأخواتهم..

ثم سأله: أترضاه لعمتك؟ أترضاه لخالتك؟

◀ والشاب يردد: لا.. لا..

◀ فقال ﷺ: فأحب للناس ما تحب لنفسك.. واکره للناس ما تكره لنفسك..

أدرك الشاب عند ذلك أنه كان مخطئاً..

◀ فقال بكل خضوع: يا رسول الله.. ادعُ الله أن يطهر قلبي..



فدعاه ﷺ.. فجعل الشاب يقترب.. ويقترب.. حتى جلس بين يديه.. ثم وضع يده على صدره.. وقال: اللهم اهد قلبه.. واغفر ذنبه.. وحسن فرجه..

فخرج الشاب وهو يقول: والله لقد دخلت على رسول الله ﷺ.. وما شيء أحب إلي من الزنا.. وخرجت من عنده وما شيء أبغض إلي من الزنا..

ثم انظر إلى استعمال العواطف.. دعاه.. وضع يده على صدره.. دعا له.. يعني استعمل جميع الأساليب لإصلاح من أمامه.. بعدما جعله يقتنع بشناعة الفعل ليتركه عن قناعت.. فلا يفعله أبداً.. لا أمامه ولا خلفه..

قاعدة..



إذا شعر المخطئ بشناعة خطئه
اقتنع بمواجهته للتصبيحة..
وصار قبوله أكثر.. وقناعته أكبر..

لا تلمني!! انتهى الأمر



يظن بعض الناس أنه عندما يلوم الآخرين على أخطائهم التي ربما تكون لا تُرى إلا بالمجهر.. يظن أنه يتقرب منهم أكبر.. أو أنه يقوي شخصيته بذلك.. والحق أنه ليس الذكاء والفتنة أن تستطيع اللوم.. وإنما هو أن تتجنبه قدر المستطاع.. وتسعى إلى إصلاح الأشخاص بأساليب لا تخرج.. ولا تخرج.. أحياناً تحتاج في بعض الأمور أن تتعamy.. خاصة الأشياء الدنيوية.. والحقوق الخاصة..

ليس الغبي سيد في قومه لكن سيد قومه المتغابي

والملوم يعتبر اللوم سهماً حاداً يوجه إليه.. لأنه يشعره بنقصه.. هذا أولاً.. ثانياً: تجنب النصح في المألأ قدر المستطاع..

تعمدني بنصحك في انفرادي وجنبني النصيحة في الجماعة
فإن النصح بين الناس نوع من التوبيخ لا أرضى استماعه

بل إذا انتشر خطأ معين.. واضطرت إلى النصح العام.. فاعمل بقاعدة:
ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا.. كما تقدم معنا..



إذن.. اللوم كالسوط الذي يجلد به اللائم ظهر الملوم.. وبعض الناس ينفر الآخرين إما بكثرة لومهم.. أو بلومهم على أمور انتهت ولا يقدم اللوم أو يؤخر فيها شيئاً..

أذكر أن رجلاً فقيراً.. تغرّب عن أهله إلى بلد آخر.. واشتغل سائق شاحنة.. كان في أحد الأيام مُتعباً لكنه ركب الشاحنة ومضى بها في طريق طويل بين مدينتين.. غلبه النوم أثناء الطريق.. فجعل يصارعه وأسرع قليلاً.. فتجاوز سيارة أمامه دون أن ينتبه إلى الطريق فإذا أمامه سيارة صغيرة فيها ثلاثة أشخاص.. حاول أن يتفادها.. لم يستطع.. فاصطدم بها وجهاً لوجه..

ثار الغبار.. وجعل المارة يوقفون سياراتهم ويتفرجون على الحادث.. نزل سائق الشاحنة.. ونظر إلى السيارة المصدومة.. وإلى من بداخلها فإذا هم موتى.. أنزلهم الناس واتصلوا بالإسعاف..

جلس سائق الشاحنة ينتظر وصول الإسعاف.. ويفكر فيما سيحصل له بعد الحادث من سجن ودية.. ويفكر في أولاده الصغار.. وزوجته.. مسكين.. هموم انهدت عليه كالجبال..!! جعل الناس يمرون به ويلومونه.. عجباً..!! أهدأ وقت اللوم.. ألا يمكن أن يؤجل قليلاً؟

قال أحدهم: لماذا تسرع؟ هذه عواقب السرعة..

وقال آخر: أكيد أنك كنت نعسان ومع ذلك استمررت في القيادة..! لم توقف سيارتك وتنام..

وقال ثالث: المفروض أن مثلك لاتصرف لهم رخص قيادة!!

كانوا يقولون هذه العبارات بأسلوب حاد.. فيه تعنيف وصراخ.. كان الرجل واجماً.. جالساً على صخرة ساكناً.. متكئاً برأسه على يديه.. وفجأة هوى على جنبه.. و... ، ... ماات .. قتلوه بلومهم.. ولو صبروا قليلاً لكان خيراً له ولهم..

ضع نفسك موضع الملولم.. المخطيء.. وفكر من وجهة نظره.. فأحياناً لو كنت مكانه قد تقع في خطأ أكبر من خطئه..



كان رسول الله ﷺ يراعي ذلك كثيراً.. لما انصرف ﷺ من (خير).. أطلوا المسير حتى تعبوا.. فلما أقبل الليل.. نزلوا في موضع في الطريق ليناموا.. فقال ﷺ:

◀ من رجل يحفظ علينا الفجر لعنا ننام؟

◀ كان (بلال) رضي الله عنه متحمساً فقال: أنا يا رسول الله أحفظه عليك؟

فاضطجع رسول الله ﷺ.. ونزل الناس فناموا.. وقام (بلال) يصلي حتى تعب.. وقد كان مُتعباً من طول الطريق قبل ذلك.. فقعد واستند إلى بغيره مستريحاً.. واستقبل الفجر يرمقه.. فغلبته عينه.. فنام..

كان الجميع في تعب شديد.. فطال نومه ونومهم.. ومضى الليل.. وطلع الصبح.. والكل نيام.. ولم يوقظهم إلا حر الشمس.. استيقظ رسول الله ﷺ.. وهب الناس من نومهم.. فلما رأوا الشمس اضطربوا.. وكثر لغطهم.. الكل ينظر إلى (بلال)..

◀ التفت ﷺ إلى (بلال) وقال: ماذا صنعت بنا يا (بلال)؟

فأجاب (بلال) بجواب مختصر.. لكنه موضح للواقع تماماً..

◀ قال: يا رسول الله.. أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك..

يعني أنا بشر.. حاولت أن أقاوم النوم.. لم أستطع.. غلبني النوم كما غلبكم!!

◀ فقال ﷺ: صدقت..

وسكت عنه.. نعم فما فائدة اللوم هنا..

فلما رأى ﷺ اضطراب الناس.. قال ﷺ: ارتحلوا..

فارتحلوا.. فمشى شيئاً يسيراً.. ثم نزل ونزلوا.. فتوضأ وتوضؤوا.. ثم صلى بالناس.. فلما سلّم.. أقبل على الناس فقال: إذا نسيتم الصلاة.. فصلوها إذا ذكرتموها..

فلله دره ما أعقله وأحكمه ﷺ.. كان مدرسة لكل قائد.. ليس مثل بعض الرؤساء اليوم لا تكاد عصا اللوم والتقريع تنزل من يده.. بل كان ﷺ يضع نفسه مكان من تحته ويفكر بعقولهم.. ويتعامل مع القلوب قبل الأجساد.. يعلم أنهم بشر.. وليسوا آلات!!

في السنة الثامنة من الهجرة.. جمع (الروم) جيشاً.. وأقبل من جهة الشام.. لقتال النبي ﷺ وأصحابه.. وقيل إنه ﷺ جمع جيشاً لغزوهم ابتداءً..



بدأ ﷺ يجهز جيشاً لإرساله إليهم.. فلم يزل يحث الناس حتى جمع ثلاثة آلاف.. فزودهم بما وجد من سلاح وعتاد..

قال لهم: أميركم (زيد بن حارثة).. فإن أُصيب (زيد).. ف (جعفر بن أبي طالب) على الناس.. فإن أُصيب (جعفر) ف (عبد الله بن رواحة)..

وخرج معهم ﷺ يودعهم.. وخرج الناس يودعون الجيش.. ويقولون: صحبكم الله ودفع عنكم وردكم إلينا صالحين..

كان (عبد الله بن رواحة) مشتاقاً إلى الشهادة.. فقال:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة	وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا
أوطعنة بيدي حران مجهزة	بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقال إذا مروا على جسدي	يا أرشد الله من غاز وقد رشدا

ثم مضى الجيش إلى معركة (مؤتة) حتى نزلوا (معان) من أرض الشام.. فبلغهم أن (هرقل) ملك (الروم) قد نزل من أرض البلقاء في مائة ألف من (الروم).. وانضم إليه من القبائل حوله مائة ألف.. فصار جيش (الروم) مائتي ألف..

فلما تيقن المسلمون من ذلك.. أقاموا في (معان) ليلتين ينظرون في أمرهم.. فقال بعضهم: نكتب إلى رسول الله ﷺ نخبره بعدد عدونا.. فيما أن يمدنا بالرجال.. أو يأمرنا بما يشاء فنمضي له..

وكثر كلام الناس في ذلك.. فقام (عبدالله بن رواحة).. ثم صاح بالناس وقال: يا قوم.. والله إن التي تكرهون هي التي خرجتم تطلبون.. الشهادة في سبيل الله.. تفرون منها!! وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة.. ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به.. فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين.. إما ظهور وإما شهادة..

فمضى الناس.. يسиров.. حتى إذا دنوا من جيش الروم.. في موقعة (مؤتة) فإذا أعداد عظيمة لا قبل لأحد بها..

قال (أبوهريرة) رضي الله عنه: شهدت يوم مؤتة.. فلما دنا منا المشركون.. رأينا ما لا قبل لأحد به من العدة.. والسلاح.. والكراع.. والديباج.. والحرير.. والذهب.. فبرق بصري.. فقال لي ثابت بن أرقم: يا أبا هريرة.. كأنك ترى جموعاً كثيرة؟ قلت: نعم.. قال: إنك لم تشهد بداراً معنا.. إننا لم ننصر بالكثرة..



ثم التقى الناس فاقتتلوا.. فقاتل (زيد بن حارثة) براية رسول الله ﷺ حتى كثرت عليه الرماح وسقط صريعاً شهيداً رضي الله عنه.. فأخذ الراية (جعفر) بكل بطولته.. فاقتحم عن فرس له شقراء فجعل يقاتل القوم.. وهو يقول:

يا حبذا الجنة واقتربها طيبة وبارد شرابها
والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها
عليّ إن لا قيتها ضرابها

ثم إن (جعفراً) أخذ اللواء بيمينه فقطعت.. فأخذ اللواء بشماله فقطعت.. فاحتضنه بعضديه حتى قتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة..

قال ابن (عمر)... وقفت على (جعفر) يومئذ.. وهو قتيل.. فعددت به خمسين بين طعنة وضربة ليس منها شيء في دبره.. فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث يشاء..

ثم إن رجلاً من (الروم) ضربه يومئذ ضربة فقطعته نصفين.. فلما قُتل (جعفر).. أخذ (عبدالله بن رواحة) الراية.. ثم تقدم بها وهو على فرسه.. فجعل يستنزل نفسه.. ويتردد بعض التردد.. ويقول:

أقسمت يا نفس لتنزلنه لتنزلن أولتكرهنه
إن أجلب الناس وشدوا الرنة مالي أراك تكرمين الجنة

ثم تذكر صاحبيه (زيداً) و(جعفر) فقال:

يا نفس إلا تقتلي تموتي وضربة ذات فرغ تقذف الزيدا
وما تمنيت فقد أعطيت إن تفعلني فعلهما هديت



ثم نزل من على فرسه.. فلما استقر على قدميه أتاه ابن عم له بعرق من لحم.. فقال له: شُدْ بهذا صلبك.. فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت.. فأخذه من يده فانتهش منه نهشته..

ثم سمع الحطمة في ناحية الناس.. فنظر إلى عرق اللحم وقال: وأنت في الدنيا! فالتقاه من يده.. ثم أخذ سيفه ثم تقدم.. فقاتل حتى قتل رضي الله عنه. فوقعت الراية.. واضطرب المسلمون.. وابتهج الكافرون.. والراية تطوُّها الخيل.. ويعلوها الغبار..

فأقبل البطل (ثابت بن أرقم).. ثم رفعها.. وصاح.. يا معاشر المسلمين.. هذه الراية.. فاصطلحوا على رجل منكم..

فتصايح من سمعه وقالوا: أنت.. أنت.. أنت.. قال: ما أنا بفاعل..

فأشاروا إلى (خالد بن الوليد).. فلما أخذ الراية.. قاتل بقوة.. حتى إنه كان يقول: لقد اندق في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، فما بقي في يدي إلا صفيحة يمانية..

ثم خشي (خالد) أن يرجع بالجيش إلى المدينة من ليلته.. فيتبعهم (الروم).. فلما أصبحوا.. غير (خالد) مواقع الجيش.. فجعل مقدمة الجيش.. في المؤخرة.. وجعل مؤخرة الجيش مقدمة.. ومن كانوا يقاتلون في يمين الجيش.. أمرهم بالانتقال إلى يساره.. وأمر من في الميسرة أن يذهبوا لليمين..

فلما ابتدأ القتال.. وأقبل (الروم).. فإذا كل سرية منهم ترى رايات جديدة.. ووجوهاً جديدة.. فاضطرب (الروم).. وقالوا: قد جاءهم في الليل مدد..

فرعبوا في القتال.. فقتل المسلمون منهم مقتل عظيمة.. ولم يقتل من المسلمين إلا اثنا عشر رجلاً.. وانسحب (خالد) بالجيش آخر النهار من ساحة القتال.. ثم واصل مسيره نحو المدينة..



فلما أقبلوا إلى المدينة.. لقيهم الصبيان يتراکضون إليهم.. ولقيتهم النساء فجعلوا يحثون التراب في وجوه الجيش.. ويقولون: يا فرار.. فررتم في سبيل الله؟!

فلما سمع النبي ﷺ ذلك.. علم أنهم لم يكن أمامهم إلا ذلك.. وأنهم فعلوا ما بوسعهم..

فقال ﷺ مدافعاً عنهم: ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار.. إن شاء الله عز وجل..



نعم انتهى الأمر.. وهم أبطال ما قَصَّروا.. لكنهم
بشر والأمر كان فوق طاقتهم.. إذن الصلاة على
الميت الحاضر..

أحياناً انتهى الأمر فلا فائدة من اللوم.. كان
هذا منهجه ﷺ دائماً.

لما سمع الكفار برسول الله ﷺ قادماً بجيشه إلى مكة فاتحاً.. دخلهم الرعب..
فأرسل اليهم رسول الله ﷺ من يقول لهم: من دخل داره وأغلق عليه بابه فهو
آمن.. ومن دخل المسجد فهو آمن.. ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن..

فبدأ الناس يفرون من بين يديه ﷺ.. فاجتمع بعض فرسان قريش.. وأرادوا
أن يحاربوا.. فأبى عليهم قومهم..

فاجتمع نفر منهم في مكان يقال له الخندمة.. اجتمع (صفوان بن أمية)..
(عكرمة بن أبي جهل).. و(سهيل بن عمرو).. وجمعوا ناساً معهم بالخدمة
ليقاتلوا..



وكان (حماس بن قيس).. يعد سلاحاً قبل
قدوم النبي ﷺ.. ويصلحه..

◀ فقالت له امرأته: لماذا تُعدُّ ما أرى؟

◀ قال: لمحمد وأصحابه..!!

كانت امرأته تعلم بقوة المسلمين..

◀ فقالت: والله ما أرى يقوم لمحمد وأصحابه شيء!

◀ قال: والله إنني لأرجو أن أُخْدَمَكم بعضهم..

يعني يأسر بعضهم ويجيء بهم إليها خدماً.. ثم قال مفتخراً:

إن يقبلوا اليوم فمالي علة هذا سلاح كامل وأله
وذو غرارين سريع السلة

ثم خرج من عندها.. إلى موقع (الخندمة).. حيث اجتمع أصحابه.. فما هو
إلا أن لقيهم المسلمون.. يتقدمهم (سيف الله خالد بن الوليد).. فابتدأ القتال..
وصال الأبطال.. فقتل في لحظة واحدة.. أكثر من اثني عشر أو ثلاثة عشر..
من الكفار..



فلما رأى (حماس بن قيس) ذلك..
التفت إلى (صفوان) و(عكرمة).. فإذا هما
يفران إلى بيوتهما.. فانهزم معهم.. وذهب
يعدو إلى بيته.. فدخله سريعاً..

وأخذ يصيح بامرأته فزعاً:

◀ أغلقي علي بابي.. فإنهم يقولون من دخل داره وأغلق بابيه فهو آمن..!!

◀ فقالت: فأين ما كنت تقول؟ أن تهزمهم.. وتخدمني بعضهم..!!

فقال:

إنك لو شهدت يوم الخندمة	إذ فر صفوان وفر عكرمة
وأبوي زيد قائم كالموثمة	واستقبلتهم بالسيوف المسلمة
يتطعن كل ساعد وجمجمة	ضرباً فلا يسمع إلا غممة
لهم نهيت خلفنا وهممة	لمرتنظي في اليوم أدنى كلمة

صحيح.. لو رأت امرأته ما رأى من شدة القتال.. ما نطقت في لومه كلمة..

وفي موقف آخر.. لما دخل النبي ﷺ مكة فاتحاً.. فقد كان يعلم عظمة البلد
الحرام.. فقاتل قتالاً يسيراً ثم قال:

◀ إن الله حرم هذا البلد يوم خلق السموات والأرض.. وإنما حلّ لي ساعة من نهار..

◀ فقل له: يا رسول الله.. أنت تنهى عن القتل.. وهذا خالد بن الوليد في كتيبته.. يقتل من لقيه من المشركين؟

◀ فقال ﷺ: قُمْ يا فلان.. فأَت خالد بن الوليد فقل له: فليرفع يده من القتل.

هذا الرجل يعلم أنهم الآن يعيشون حالة حرب.. وأن النبي ﷺ أمر قريشاً بالبقاء في بيوتهم لئلا يقتلوا.. فمن كان في غير بيته استحق المقاتلة..

ففهم من قول النبي ﷺ: يرفع يده من القتل.. أي يقتل كل من وقف أمامه.. حتى يرفع يده بالسيف لأنه لا يجد من يقتل..!!

فأتى الرجل خالدًا فصاح به: يا خالد.. إن رسول الله ﷺ يقول: اقتل من قدرت عليه! فقتل خالد سبعين إنساناً.. فأتى رجل النبي ﷺ..

◀ قال: يا رسول الله.. هذا خالد يقتل..

فعجب النبي ﷺ كيف يقتل وقد نهاه..! فأرسل النبي ﷺ إلى ذاك الرجل.. فجاء ورأى خالدًا..

◀ فقال له ﷺ: ألم أقل يرفع يده من القتل؟

فأدرك الرجل خطأه.. لكن الأمر انتهى.

◀ فقال: يا رسول الله.. أردتُ أمراً.. وأراد الله أمراً.. فكان أمر الله فوق أمرك.. وما استطعتُ إلا الذي كان..

فسكت عنه النبي ﷺ وما ردَّ عليه شيئاً..

من تأمل في مسيرة الحياة.. وجد هذا الأمر ظاهراً.. أحياناً يكون الشخص قد فعل أحسن ما يستطيع..

ركبت مع أحد الشباب في سيارته.. فإذا قيادته جيدة.. وكنت أعلم أنه وقع له حادث تصادم قبل أسبوع..

◀ فسألته: ألاحظ أن قيادتك جيدة.. فلماذا صدمت قبل أسبوع؟!

◀ قال: كان لابد أن أصدم!!

◀ قلت: عجباً!!

◀ قال: نعم.. كان لابد أن أصدم.. أتدري لماذا؟

◀ قلت: لماذا؟!

◀ قال: أقبلت بسيارتي على جسر.. وكنت مسرعاً.. فلما نزلت منه فإذا السيارات أمامي متوقفة صفوفاً.. لا أدري ما السبب.. حادث في الأمام.. أو نقطة تفتيش.. لا أدري..

المهم أنني تفاجأت بها.. كان أمامي أربعة مسارات كلها مليئة بالسيارات..



وكنت مخيراً بين أن أنحرف عنها كلها وأسقط من فوق الجسر.. أو أمسك فرامل بأقوى ما أستطيع وعندها ستلعب بي السيارة في الطريق.. أو الاختيار الثالث.. وهو أهونها..

◀ قلت: وما هو؟!

◀ قال: أن أصدم إحدى السيارات الأربع الواقفة أمامي..

◀ ضحكت.. وقلت:.. هاه !! وماذا فعلت؟

◀ قال: خففت سرعتي قدر استطاعتي.. واخترت أرخص السيارات التي أمامي..
و.. و.. صدمتها!!

ثم ضحك بقوة وضحكت.. لكنني فكرت بعدها فيما قال.. فرأيت أنه لا يستحق
اللوم كثيراً.. وذلك أن الاختيارات التي كانت أمامه محدودة..

يعني بعض المشاكل ليس لها حل.. شخص أبوه عصبي.. نصحه بجميع
الأساليب.. ما نفع.. ماذا يفعل؟

لفتة..



ضع نفسك موضع اللوم
وفكر من وجهة نظره..
ثم امكس عليه..



تأكد من الخطأ قبل النصيحة

كان واضحاً من نبرة صوته لما اتصل بي.. أنه كان غضبان يكتم غيظه قدر المستطاع.. ليست هذه هي النبرة التي تعودت عليها من (فهد).. شعرت أن عنده شيئاً.. بدأ كلامه.. متحدثاً عن الفتن وتعرض الناس لها.. ثم احتدت النبرة.. وجعل يكرر:

◀ أنت داعية.. طالب علم.. وأفعالك محسوبة عليك..

◀ قلت: أبا عبدالله ليتك تدخل في الموضوع مباشرة..

◀ قال: المحاضرة التي ألقيتها في.. وقلت...

◀ تعجبت.. قلت: متى كان ذلك؟

◀ قال: قبل ثلاثة أسابيع..

◀ قلت: لم أذهب لتلك المنطقة منذ سنة..

◀ قال: بلى.. وتحدثت عن كذا..

ثم تبين لي أن صاحبي.. بلغته إشاعة فصدقها.. وبنى على أساسها مناصحته.. وموقفه.. وكلامه.. صحيح أنني لا أزال أحبه.. لكن نظرتي إليه قصرت.. لأنني اكتشفت أنه مُتسرع.. ومثل ما يقولون: يطير في العجة..!!

كم هم أولئك الذين يبنون مواقفهم ونظراتهم على إشاعات.. كثير منهم من يأتيك مناصحاً.. ليكتشف بعدها أنه كان يجري وراء إشاعة.. وكثير منهم من تنطبع هذه الإشاعة في قلبه.. ويكون على أساسه تصوره عنك وهي كذبة..

أحياناً يشاع أن فلاناً فعل كذا وكذا.. فلأجل أن تحتفظ بقدرتك عنده.. تأكد من الخبر قبل الكلام عنه.. وهذا منهج النبي ﷺ..

أتى رجل إلى النبي ﷺ.. فنظر النبي ﷺ إليه.. فإذا رجل رث الهيئة.. مغبر الشعر.. فأراد ﷺ أن ينصحه ليصلح من هيئته.. لكنه خشي أن يكون الرجل فقيراً أصلاً.. ليس ذا مال.. فقال له:

◀ هل لك من مال؟

◀ قال الرجل: نعم..

◀ قال: من أي المال..؟

◀ قال الرجل: من كل المال.. من الإبل..

والرقيق.. والخيول.. والغنم..

◀ قال: فإذا آتاك الله مالاً.. فليُر عليك..

ثم قال: تنتج إبل قومك صحاح آذانها.. فتعتمد إلى موسى.. فتقطع آذانها.. فتقول: هذه بحيرة.. وتشقها.. أو تشق جلودها.. وتقول: هذه صرم.. فتحرمها عليك وعلى أهلِكَ..

◀ قال الرجل: نعم..

◀ قال: فإن ما أعطاك الله لك حل.. موسى الله أحد..^(١)

وفي عام الوفود.. كان بعض الناس يأتي مسلماً.. ويبايع النبي ﷺ.. وبعضهم يأتي كافراً.. ويسلم أو يعاهد.. فبينما رسول الله ﷺ مع أصحابه يوماً.. إذ جاء وفد الصّدف.. وهم بضعة عشر راكباً.. فأقبلوا إلى مجلس النبي ﷺ.. فجلسوا ولم يسلموا..

◀ فسألهم: أمسلمون أنتم؟

(١) أخرجه الحاكم وصححه إسناده

◀ قالوا: نعم..

◀ قال: فهلا سلمتم؟

◀ فقاموا قياماً فقالوا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته..

◀ فقال: وعليكم السلام.. اجلسوا..

فجلسوا ثم سألوهُ ﷺ عن أوقات الصلوات..

وفي عهد (عمر) رضي الله عنه توسعت بلاد الإسلام.. فعين (عمر) (سعد بن أبي وقاص) أميراً على (الكوفة).. كان أهل (الكوفة) حينذاك مشاغبين على ولايتهم.. أرسل نضر منهم رسالة إلى الخليفة (عمر) رضي الله عنه.. يشتكون إليه من (سعد).. وذكروا عيوباً كثيرة.. حتى إنهم قالوا: **ولا يحسن أن يصلي!**



فلما قرأ (عمر) الكتاب.. لم يتسرع باتخاذ قرار.. ولا كتابة نصيحة.. وإنما أرسل (محمد بن مسلمة) إلى (الكوفة) معه كتاب إلى (سعد).. وأمره أن يسير مع (سعد) ويسأل الناس عنه..

وصل (محمد بن مسلمة) وأخبر (سعداً) الخبر.. ثم جعل يصلي مع (سعد) في المساجد.. ويسأل الناس عن (سعد).. ولم يدع مسجداً إلا سأل عنه.. ولا يذكر عن (سعد) إلا معروفاً.. حتى دخلا مسجداً لـ (بني عبس).. فقام (محمد بن مسلمة).. وسأل الناس عن أميرهم (سعد)؟ فأثنوا عليه خيراً..

◀ فقال (محمد): أنشدكم بالله.. هل تعلمون منه غير ذلك؟

◀ قالوا: لا نعلم إلا خيراً..

فكرر عليهم السؤال.. عندها قام رجل في آخر المسجد.. اسمه (أسامة بن قتادة)

◀ فقال: أما إذ نشدتنا بالله.. فاسمع: إن سعداً كان لا يسير بالسوية.. ولا يعدل في القضية..

◀ فعجب (سعد) وقال: أنا كذلك؟

◀ قال الرجل: نعم..

◀ فقال (سعد): أما والله لأدعون بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذباً.. وقد قام رياء وسمعة.. اللهم ف: أطل عمره.. وأطل فقره.. وعرضه للفتن..

ثم خرج (سعد) من المسجد.. ومضى إلى المدينة ومات بعدها بسنوات.. أما ذلك الرجل فلا زالت دعوة (سعد) تلاحقه.. حتى كبرت سنه.. ورقَّ عظمه.. واحد ودب ظهره.. وطال عمره حتى ملَّ من حياته.. واشتد فقره.. فكان يجلس وسط الطريق يسأل الناس.. وقد سقط حاجباه على عينيه من شدة الكبر.. فإذا مرت به النساء مدَّ يده يغمزهن ويتعرض لهن!! فكان الناس يصيحون به.. ويسبونته.. فيقول: وماذا أفعل!! شيخ كبير مفتون.. أصابتني دعوة الرجل الصالح (سعد بن أبي وقاص)..

حديث..

الله
رسول
محمد

بئس مطية الرجل زعمرا..
وكفى بالمرء إثماً أن يحدث
بكل ما سمع..